The Echo of the Egyptian Countryside in the Stories of Yusuf Idris

Elaf Muhammad Abbas
ylafalkawaz@gmail.com
Ph.D. Student, Department of Arabic Language and Literature, Razi University, Kermanshah, Iran
Dr. Yahya Ma'ruf (Responsible author)
y.marof@yahoo.com
Professor, Department of Arabic Language and Literature, Razi University, Kermanshah, Iran
Dr. Ali Akbar Mohseni
mohseni0310@yahoo.com
Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Razi University, Kermanshah, Iran

Doi: https://doi.org/10.36473/526t8965

Copyright (c) 2025 Elaf Abbas, Yahya Ma'ruf, Ali Mohseni. This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International Licenses

How to Cite
The Echo of the Egyptian Countryside in the Stories of Yusuf Idris. (n.d.). ALUSTATH JOURNAL FOR HUMAN AND SOCIAL SCIENCES, 64(1). https://doi.org/10.36473/526t8965

Received date: 21/12/2024
review: 30/12/2024
Acceptance date: 21/01/2025
Published date: 15/03/2025

Abstract

Yusuf Idris, born in 1927, was greatly influenced by the countryside. In his first story from *"Arkhass Layali"*, he tells of a poor farmer struggling to survive while still fathering children. In *"Al-Murjihat"*, he describes a farmer, who tries to make money, but falls ill, is imprisoned, and dies. In *"Al-Omniya"*, Idris blends humor to depict rural life, telling the story of a farmer who sees a telephone for the first time. In *"Tabeliya Min Al-Sama"*, a farmer burdened by life refuses to ask for help from the villagers. In *"Fi Al-Layl"*, the author comments on societal flaws through a group of farmers who enjoy jokes from Furfour, the poorest among them. In *"Al-Haram"*, he addresses marginalized laborers in rural society. In *"Al-Maatim"*, he humorously portrays a scene between a village undertaker and a cleric about the price of funeral prayers. Idris uses straightforward language and colloquial speech to make his stories more relatable, while highlighting class divisions. Research questions: How does Yusuf Idris portray the reality of Egyptian rural life and its people? What are the author's goals in focusing on the Egyptian countryside?

Keywords: Yusuf Idris, countryside, *"Arkhass Layali"*.

صدى الرّيف المصريّ في قصص يوسف إدريس

إيلاف محمد عباس
ylafalkawaz@gmail.com
الدكتور يحيى معروف (الكاتب المسؤول)
y.marof@yahoo.com
أستاذ، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة رازي، كرمانشاه، إيران
الدكتور على أكبر محسني
mohseni0310@yahoo.com
أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة رازي، كرمانشاه، إيران

الملخص

تأثَّر يوسف إدريس المولود عام ١٩٢٧ من الريف بكثير. إنه في أولى قصصه من مجموعة «أرخص ليالي» يحكي عن فلاح فقير لايجد لقمة العيش ومع ذلك ينجب أطفالا. وفي قصة «الــمُرجيحة» تحكي عن فلاح حاول كسب المال ولكنه أصبح مريضًا ثم سُجن و مات فيه. له قصةٌ أخرى مزج فيها الفكاهة لتوصيف أوضاع أهل الريف من خلال قصة «الأُمْنِية» يحكي عن فلاح يرى التليفون لأول مرة. استخدم الكاتب أنواعاً من التشابيه الفكاهية المأخوذة من بيئة القرية. وفي قصة «طبلية من السماء» يحكي قصة ريفي ضاقت به الحياة ورفض أن يطلب شيئا من أهل القرية. أراد الكاتب فى قصة «في الليل» انتقاد سلبيات الواقع من أجل تنبيه الناس وفيها جماعة من الفلاحين يستمتعون بنكت (فرفور القرية) الذي هو أفقرهم. وتناول في رواية «الحرام» العمال المهمشين في المجتمع القروي. وفي قصة (المأتم) وصف مشهدا ساخراً بين حانوتيّ وشيخ قروي حول ثمن صلاة الميت. لغة الكاتب بعيدة عن الغموض. إنه وظّف العاميّة عند محاورة الشّخصيات لكي يقرّب روايته إلى الواقع ويشيرُ إلى الطّبقيّة في مجتمعه.

أسئلة البحث: كيف صوَّر يوسف إدريس واقع أجواء الريف المصري وأهله؟ ما هي أهداف الكاتب للاهتمام بالريف المصري؟

الكلمات الدلالية: يوسف إدريس، الريف، أرخص ليالي.

1- المقدمة

ولد يوسف إدريس في قرية البيروم بمركز فاقوس بمحافظة الشرقية في مصر عام ١٩٢٧؛ تأثَّر من الريف بكثير لأنه عاش فيه سنواته الأولى من حياته بصحبة جدته. ورغم قصر هذه الفترة إلا أنه عاش كل تفاصيله، فاحتلت القرية جزءا كبيرا ومهما في كتاباته. دون شك عالم الريف والقرية أحد المنابع الرئيسية لخبرات يوسف ادريس الإبداعية حيث امتدت مهنة الفلّاح والفلَّاحة عبر ١٩ قصة وجرت أحداث ٣٢ قصة في الريف.

الريف المصري هو تلك المناطق التي تقع بعيدة عن المدن، وتشتهر بالزراعة وتكون بعيدة عن صخب المدن وضجيجها، وعن نمطها في الحياة، ولعلّ أبرز حياة ريفية في الوطن العربي هي حياة الريف المصري، إذ تتسم هذه الحياة بجمالها وبساطتها وروعتها بكلّ ما تحمله من سماتٍ وصفات وميّزات، ففيها من الراحة والمحبّة ما يجعل الإنسان يحيا سعيداً مرتاح البال.

مَثَل شعبي يقول: "لولا الفلاح ما كان أبو بدلة وطربوش مرتاح" هذا المثل يعكس حال الفلاح الكادح الذي يقدم للشعب وللدولة الكثير من العطاء، لكنه يعيش في نفس الوقت حالة من المعاناة والفقر والظلم الشديد. هذا التناقض جعل العديد من الكتّاب يميلون إلى حياة الفلاح وطبيعة الريف المصري لينسجوا منها العديد من الروايات. ومن أبرز هؤلاء الكتّاب الذين خصصوا مساحات واسعة من إبداعاتهم للريف يوسف إدريس، الذي سطر قصصا تعكس حبَّه الشديد للقرية، وكذلك تبنّي مشاكل ومعاناة الفلاح خلال قصصه. استعرض الكاتب والطبيب المصري أحوال الناس فى الريف بطريقة بديعة فاختار أسلوب التصوير في قصصه، مما دفع رواد السينما لتحويل بعض رواياته إلى أفلام سينمائية.فهو يصور الحياة الريفية المصرية تصويراً دقيقا بكل تفاصيلها وكأنه رسام يرسم بريشته الحياةَ الريفيةَ حلوها و مُرّها وقد استوحى لوحات قصصه من الطبيعة وبراريها وجروفها الصخرية، وحمّلها بالكثير من الأفكار والعواطف والذكريات عن الذين هم أناسٌ طيّبون محبّون بسطاء، يسكن الحب ملىء قلبهم. ولربما وقوفه في المشرحة واحتكاكه بالمرض، علَّمه أن يسيطر على حساسيته فجاءت صوره موضوعيةلم تهوشها الانفعالات ولعل أيديولوجية متفائلة مسيطرة عليه آنذاك كانت تجعله لايرى في شقاء الطبقات الشعبية إلا مقدمة للخلاص، فخلت صوره من الألوان القاتمة حتى حين يعالج الموضوعات القاتمة كما في: «العنكبوت الأحمر» أو «شقلاته» أو «المُرجيحة». (فاروق عبدالمعطي، 1994، ص 48) (Farouk Abdel-Moati, 1994, p. 48) لذا نجد في قصصه الشخصيات التي مكانها الريف تغلب عليها القناعة و الطيبة بعبارة أخرى عالم الريف عنده وديع ساكن، لا جديد فيه، فالقرية مكان تؤثر في شخصية القروي. (محسن بن ضياف، 1985، ص 55) (Mohsen bin Dhiyaf, 1985, p. 55)

قدم يوسف إدريس في مجموعاته القصصية تجارب عديدة متنوعة، تلمس فيها أعماق البنية التحتية للمجتمع المصري في القرية والمدينة وذلك من خلال رؤية واقعية متمايزة وذات طابع خاص ربما كان أقرب تعريف لها أنّها واقعية إنسانية تعرفت على الصور المتعددة للواقعية من نقدية ورمزية وتحليلية وغيرها. قد مرت هذه الواقعية عنده بمراحل استتبعتها طبيعة التجربة في كل مرحلة. وكانت الواقعية من إنتاج الكاتب مختلطة ببعض المشاعر والأفكار الرومانسية، ومن ثم الرومانسية السمة التي سيطرت علي قصص المرحلة التي نشر فيها الكاتب مجموعات "أرخص ليالي"، "أليس كذلك"، "جمهورية فرحات" و"البطل". (الورقي، 1995، ص 18) (Al-Warraqi, 1995, p. 18)

إنه قدم في قصصه عالما متكاملا للحياة المصرية من خلال تحويل الواقع العادي إلى واقع محلّل بتشكيل خامة هذا الواقع والربط بين عناصره المبعثرة علي نحو يجعل النظرة إلى الواقع أبعد عن حالة الإدراك الفوري، خاصة فيما تعكسه من ارتباط نظرة الكاتب إلى مجتمعه بهموم وقضايا هذا المجتمع، وعرض ذلك في بساطة تخفي فهماً ووعياً عميقاً لكل من الفرد والمجتمع. عاصر يوسف إدريس وعايش فترة التحولات السياسية والوطنية والاجتماعية في مصر منذ الخمسينيات، وشاهد تبلور الطبقه الشعبية وبروزها عنصراً فعالا مؤثرا في الحياة الاجتماعية والسياسية وعكست أعماله هذا التبلور. إنه في قصصه القصيرة مفهوما واضحا للواقعية عنده، منذ أول مجموعة نشرها، وتابع تأكيد وتعميق هذا المفهوم خلال مجموعاته التي توالت بعد ذلك. (الورقي، 1990، ص 16) (Al-Warraqi, 1995, p. 16)

وهذه أشياء كانت محاور لعدّة موضوعات فى العملية الإبداعية لديه؛ لذا فقد نجح يوسف إدريس في التعبير عن بسطاء الناس وصغار الفلاحين، وتناول الإنسان العادي بتنويعاته المختلفة شاباً، شيخاً، فتاةً، امرأةً، فقد

أفسح للإنسان العادي مكانا في خياله وصوره وأوراقه، فعبّر عن الحياة المصرية الصرف. (نوال السيد زين الدين، لاتا، ص ٢٠٧) (Nawal Al-Sayed Zain Al-Din, Lata, p. 207)

1-1- مشكلة البحث

مشكلة البحث تدور حول استكشاف الكيفية التي جسّد بها يوسف إدريس مظاهر الحياة الريفية المصرية في أعماله القصصية. يطرح البحث أسئلة مثل: كيف انعكست معاناة الريف، وعلاقاته الاجتماعية، والتحديات الاقتصادية والسياسية على قصص يوسف إدريس؟ وكيف استثمر إدريس عناصر البيئة الريفية في بناء شخصياته وسرد أحداثه؟

2-1- أهمية البحث

أهمية علمية وأدبية: يساهم في إثراء الدراسات الأدبية العربية من خلال تسليط الضوء على الريف كعنصر مركزي في السرد الأدبي.

يعزز فهمنا لأعمال يوسف إدريس بوصفه أحد أعمدة الأدب القصصي المصري.

أهمية اجتماعية وثقافية: يساعد على استيعاب دور الأدب في تصوير القضايا المجتمعية مثل الفقر، الظلم الاجتماعي، والصراع الطبقي في الريف المصري.

يبرز كيف يمكن للأدب أن يكون مرآة للتحولات الاجتماعية والسياسية في المجتمع المصري.

3-1- هدف البحث

تحليل تصوير يوسف إدريس للريف المصري في قصصه من حيث الشخصيات، الأحداث، واللغة.

الكشف عن أساليب السرد والرمزية التي استخدمها إدريس لتمثيل القضايا الريفية.

توضيح العلاقة بين التجربة الريفية والحياة المصرية العامة من خلال قصص إدريس.

4-1- الدراسات السابقة

استعرض العديد من الدراسات أدب يوسف إدريس ولكنها غالباً ركزت على الجوانب الفنية أو النفسية. ومن أمثلة الدراسات السابقة:

أبحاث تناولت البنية السردية أو الرمزية في أدب إدريس.

دراسات اجتماعية تناولت تصوير إدريس للطبقات المهمشة.

البحث الحالي يضيف منظوراً خاصاً يتناول الريف بشكل محوري كعنصر إبداعي وواقعي في أعماله. رغم أن مؤلفات يوسف إدرىس أصبح محط أنظار الكثيرين في الدول العربية والإسلامية ولكن كلما بحثنا عن موضوع صدى الرّيف المصريّ في قصصه لم نعثر على مقال أو كتاب مستقل في هذا المجال. تطرق هذا المقال إلى دراسة قصص كاتبنا فيما يتعلق بالريف وقضاياه لأنه عاش فيه، وكان واحداً من أبنائه النابهين؛ فطبيعي أن يضع يده على أســـــراره ويعرف خباياه، وله نزعةٌ إنسانيةٌ فكتب عنه أروع ما يمكن أن يُكتب. فهو واسعُ الثقافة، دقيقُ الملاحظةِ يشاركُ آلامَ الناس، له القدرةُ على التعبيرِ عما يجوش في خاطره بشجاعة فائقة. يحبُّ الإصلاح ويعرضُ المشكلاتِ حتى يوجهَ أنظارَ المجتمع إليها ويحاول تخفيفَها عن الناس. إنه عميقُ الفكرِ يعرف كثيراً من خبايا المجتمع وما يجرِى فيه.

5-1- أسئلة البحث

ما هي المظاهر الاجتماعية والاقتصادية للريف المصري التي صورها يوسف إدريس في قصصه؟

كيف تجلت قضايا الصراع الطبقي والعدالة الاجتماعية في أعماله القصصية؟

ما هي التقنيات الأدبية التي استخدمها إدريس لتقديم صورة حية للريف؟
كيف أثرت خلفية إدريس الشخصية وتجربته الحياتية في تصويره للبيئة الريفية؟
ما مدى تأثير قصص يوسف إدريس على الأدب العربي في ما يتعلق بتصوير الريف؟

2- صدى الريف في قصص يوسف إدرىس

2-1- أرخص ليالي

القصة عند يوسف إدريس والتي بدأت ملامحها تتضح بقوة في "أرخص ليالي" وهي لوحة رسمها كاتبنا بضربات فرشاته.ففي أولى قصصه من مجموعة «أرخص ليالي» يحكي عن فلاح فقير يعيش في الريف المصري يُدعى عبد الكريم وهو يشتم آباء القرية وأمهاتها، لأن أطفالهم قاموا بمضايقته. ويتساءل عن كثرتهم ويتمنى لهم الموت والإصابة بوباء الكوليرا. إنه لا يجد متعة أو تسلية في حياته البائسة سوى جسد زوجته؛ تلك هي المتعة التي لا تكلفه مالاً. ونتج عن هذه الليالي غير المكلفة أطفالاً جائعين. دخل بيته تذكر أنه لا يملك فلساً واحداً. فخرج ووقف أمام البركة وطال وقوفه ثم عاد إلى بيته إلى أن وصل إلى امرأته، واستعد لمضاجعتها ونسي الأولاد وكثرتهم في القرية ولم يفكّر في تحديد نسله مع أنه يعلم أن عائلته كثيرة الأولاد.

تمثل شخصية عبد الكريم طبقة كاملة في مصر من أبناء الفقراء الفلاحين الذين لا يجدون لقمة العيش ومع ذلك ينجبون أطفالا. ولعل السبب في ذلك يعود إلى الجهل والفقر وعدم اهتمام الحكومة والمسؤولين من أجل تحديد النسل.

كثرة الإنجاب في مصر مسألة أقلقت ولا زالت تقلق الكثير من المثقفين. ويركز الكاتب في هذه القصة على أسباب، كثرة الإنجاب وهي أسباب تجهلها الحكومة المصرية. وينتقد خلال قصته المسؤولين المصريين الذين لا يخططون لتحسين ظروف معيشتهم والتوعية لتحديد النسل. وهذا ما طالعنا به الدكتور يوسف إدريس في قصته "أرخص ليالي" حين ميّز بين ليالٍ غالية وليالٍ رخيصة. ولم يأت هذا التمييز عفوياً أو من فراغ بل من دقةٍ في النظر وتمعنٍ بما يجري على الساحة المصرية من كثرةٍ في الانجاب مما أدى إلى تفاقم الوضع وانفجارٍ سكانيٍ هائل لا يُطاق. (يوسف إدريس، 2017، ص7)(Youssef Idris, 2017, p. 7)

2-2- الــمُرجيحة

وفي قصة «الــمُرجيحة» من مجموعة «أرخص ليالي» تحكي ما حدث لعبد اللطيف ذلك الفلاح والنجّار الذي حاول كسب المزيد من المال في أيام العيد عن طريق مُرجيحته التي صنعها بيده و كان مريضاً بسبب تسرّب البلهارسيا (و هو مرض تسببه الديدان الطفيلية في المياه الملوثة، وتنتقل لجسم الإنسان لتعيش في الأوعية الدموية) إلى مثانته حتى أفقدته القدرة على التحكم في نفسه، وتهامس الناس به، وتهامسوا معه باللقب الجديد الذي أطلقوه عليه «الطاجن المشروخ»! أي «المقلاة المثقوبة» وكان يكتفي عبد اللطيف وامرأته وابنه وابنته بالرطل والنصف من اللحم كل يوم الثلاثاء، وحصيرة كانوا يرقدون عليها كل سنة، فلم يستطع أن يسد مطالب أسرته، فإذا به ينشأ ابنه محمد عليلًا معوج الجذع والساق. (يوسف إدريس، 2017، ص7) ,Youssef Idris) 2017, p. 7)

جاء يوم العيد، اليوم الذي تناسَى عبد اللطيف ضعفَه، أسعده أن يتجمعَ الأطفال حوله، وأن يتعلقوا بجلبابه، ولكن من سوء حظه ارتطمت المرجيحة برأس ابن العمدة، فأُدْخل السجن، ومات بعد فترة وجيزة في السجن.

انتهتْ حياة عبد اللطيف الذي قنع بالنقود القليلة التي تأتيه من مُرجيحةٍ أقامها لأطفال القرية خلال أيام العيد. وكان من قبل مدىناً لأحمد المعلم [كلمة معلم في اللهجة المتداولة في مصر بمعنى صاحب عمل أو تاجر

وتستخدم أحيانا بين الأصدقاء للمدح. تذهب الى صانع وتجد الصبى المتدرب تقول له المعلم بتاعك فين؟ أو بكام كيلو الخيار يا معلم؟] و هو كان يعرف بدرايته كيف يطرق بابَ بيت المرحوم.

عند لقاء المعلم بزوجة عبداللطيف تُرحِّبُه برحابة الوجه والصدر. وكان محمد ابن عبد اللطيف في رقدته الدائمة في البيت وقد أخفى الدنيا عن عينيَه ولم يَعُدْ يربطه بالوجود إلا يدُ أمِه. ذات يوم سأل أمَه يا أمي لماذا يزورنا المعلم كثيراً؟ احمرتْ خدودُ أمه، وابتسمت، ثم تضاحكت وقالت له يعني ما تعرف لماذا يأتينا؟! فقال في سذاجة حقيقية: لا والنبي! فغمزت بعينها، وقالت هامسةً وهي تشُير إلى الغرفة: يأتي لطلب يد أختك. بردت عظام محمد، وذهب العرقُ عنه، وانزاح عن خاطره همٌ كثير. وصدق هذا، فلم يجد مانعًا لديه أن ينام أحمد في بيتهم.

ذات يومٍ تناول فيه محمد إفطارَه من اللبن الرائب، ثم تقيَّأه ولم يكف عن القيء إلا الظهر حينئذ غاب عن الوعي. واستقر الرأي على ذهابه غدا إلى طبيب البندر. ومن الفجر دارتْ نبويةُ (زوجة عبداللطيف) تقرع الأبواب لتستعير حمارًا يوصل ابنهَا، وقُرِعتِ الأبوابُ مراتٍ كثيرة دون جدوى. وما كان للحمار أن يأتيَ إلا عن طريق المعلم. رآه الطبيب، فأمر أن يلازم الفراش في مستشفى المركز. وغاب محمد بعد هذا عن وعي الناس والقرية، وشيئاً فشيئاً عن وعي المعلم وأمه ثم أخته. ثم تنتهي القصة بخطبة بنت عبداللطيف للمعلم. وتستمر الإشاعات رائحة غادية، ويظل المعلم هو الآخر يروح ويجيء بينهما فلا يستقر عند البنت أو حتى عند أمها.

كما رأينا في هذه القصة لجأ يوسف إدريس إلى اللغة المزدوجة التعددية اللغوية، حيث استخدم الفصحى في لغة السرد (الحوار غير المباشر) والعامية أو في المشاهد (الحوار الحر المباشر) وأحيانا يراوح بينهما حيث يقول: «كنت أحاول اكتشاف أسلوب مصري، له رائحة الأرض والطين.. كنت أحاول الوصول إلى طريقة الراوي المصري.» (نوال السيد زين الدين، لاتا، ص 76)

(Nawal Al-Sayed Zain Al-Din, Lata, p. 76)

وأما عنوان قصة "المرجيحة" عَيِّنة نصية و عنصر من العناصر الموازية التي تساهم في تلقي النصوص فالـــمُرجيحة أفضل عنوان للقصة اختارها الكاتب لأنه هو أولى العتبات أو الفواتح التي تسترعي انتباه القارئ نظراً لاحتلاله واجهة الغلاف و نص مختزل للقصة.

عبداللطيف هو الشخصية الرئيسية في هذه القصة أي العنصر الأكثر أهمية في القصة لأنه يلعب دوراً رئيسيًا في سير الأحداث فله دور أساسي في بناء القصة و المركز الذي تدور حوله الأحداث. إنه مواطن بسيط، بائس ساعٍ وراء أحلام العدالة الاجتماعية.

و من البُعد الاجتماعي ينتمي عبد اللطيف إلى الفئة الاجتماعية الفقيرة من سكان أرياف. إنه يحيا في مجتمع أناني، قاس، يحل فيه المكر محل المشاعر، ولا تمثل العلاقات الأسرية سوى أدنى درجات الحماية العارية تتهاوى أحلامهم بالمستقبل السعيد، وتتقلص متعتهم لتصبح في حدود كوب شاي بين الحين والحين، أو تدخين (الجوزة)، أو القليل من الحشيش أو الأفيون، وبعض المداعبات الخشنة مع الزوجات.(محمود معروف، 2023، ص 43)(Mahmoud Maarouf, 2023, p. 43)

الشخصية الثانوية في القصة تخص بنبوية زوجة عبداللطيف وابنته ولهما دورٌ خاص في سرد القصة. ويمكننا تسمية محمد ابن عبداللطيف بالشخصية بالمسطحة أو الجامدة والذي ليس له أي وجود في القصة لا من

بعيد ولا من قريب، فهي بسيطةٌ كونها تلزم حالة واحدة من الصفات لا تتغير مع تغير أحداث القصة. (دحماني، 2016-2017، ص 21)(Dahmani, 2016-2017, p. 21)

وأما الشخصية الهامشية هي الشخصية الغير فعالة في العمل الفني كما نراها في العمدة وابنه الذي ارتطم رأسه بسبب المرجيحة، ويتم استعمالها لسد فراغ ما بالنص، سريعة التلاشي وقليلة الظهور. الشخصية الهامشية هي كائن ليس فعالا في المواقف والأحداث والمرويات.

الشخصية المعارضة وقد يُطلق عليها الشخصية المعيقة، وهي الشخصية التي يكون مسعاها الوقوف في وجه الشخصية الرئيسية وعرقلتها عن تحقيق أهدافها، فهو يمثل الصراع في القصة مع البطل. هذه الشخصية ترجع إلى أحمد المعلم فهو يدخل بيت عبداللطيف بأنواع من الحيل حتى يحصل على ما يريده. ولذلك حضوره يعتبر مهماً وأساسياً وضرورياً، لأنها تساعد على تصعيد الحدث في الرواية.

تري هيلاري كيلباتريك (الباحثة والأستاذة الأمريكية) أن يوسف إدريس – وهو بصدد تصويره لحياة القرية ورسم شخوصها – يكون أكثر موضوعية وأكثر واقعية إذ ينهل عمله الإبداعي من حيوية الواقع المعيش من القرية. (نوال السيد محمد زين الدين، لاتا، ص 268)(Nawal Al-Sayed Zain Al-Din, Lata, p. 268)

لاشك أنّ ما يقرب من ثلث قصص كاتبنا المنشورة بين عامي 53، 1961، تدور فى المناطق الريفية، وسعْي جموع الفلاحين الفقراء المستميت من أجل البقاء.

3-2- الهجانة

وفي قصة «الهجانة» من مجموعة (أرخص ليالي) نجد شكلاً آخر من أشكال التعبير. «الهجانة» هم حرس الحدود ممن تختارهم الحكومة من أصول خاصة مرتبطة بحدود مصر الجنوبية، وهم ممن يحسنون ركوب الإبل لمواجهة قطاع الطرق أو المتسللين عبر الحدود، وقد وصفتهم القصة بأنهم عبيدٌ طوالٌ سمرٌ، ذوي أرجلٍ رفيعة جافّة.

هذه القصة تحكي تاريخ هجوم جنود الهجانة على سكان قرية لأسباب واهية. الذين أرسلهم السلطات لتأديب سكان القرية البسطاء. عرض فيها الكاتبُ ملامحَ قروية وذكريات لا يمكن لغير الأديب الاحتفاظ بها في الذاكرة الشعبية. رغم أنّ هذه الشخصيات البائسة تفشل في الحفاظ على وضعها في أدنى مستويات المجتمع، إلا أن مجتمع القرية، ككيان كامل، يظل قادراً على تحقيق مكاسب لافتة، ففي هذه القصة تلحق بعض الخسائر الطفيفة بقرية أحد كبار الملاك، ويصل ثلاثة من الهجانة لإرهاب القرية المجاورة.

فالقرية التي كانت أحداثها لا تذكر أصبحتْ في لحظة حديثَ الكل بدخول الهجانة. فتمثلت مكاناً للظلم والاضطهاد، فسرعان ما أغلق سكانها أبوابهم ومتاجرهم و كل من خرج للشارع لقي العقاب من الهجانة، فلزم الأهالي المذعورون بيوتهم، وتوقفت مظاهر الحياة، ولكن حينما وصلت الممارسات الوحشية للهجانة إلى حد يفوق الاحتمال، اتحد الناس فنجحوا في طردهم.

فالقرية مكان تؤثر في الشخصية القروية التي تخشى أن تبوح بأسرارها و أفكارها خشية الوقوع تحت ظلم الحكام ويختلط هذا الدور والخوف لدى الحكام أنفسهم هي «تجربة حصار و اعتصام، و كما تفرض التجربة إيقاعها و مفرداتها و صوتياتها فإنها تفرض أيضاً جمالياتها المكانية». (أحمد طاهر حسنين، 1988، ص 51)(Ahmed Taher Hassanain, 1988, p. 51)

قصة «الهجانة» نشرت في أعقاب أزمة مارس 1954 الشهيرة، وهي حسب مدلول اسمها تُصَوِّر كتيبةً من جنود الهجانة تسطو على قرية وتحتلها وتعيث فيها فسادا، وبسبب انتشار القصة اعتقل يوسف ادريس وقضى في السجن حوالي عام ونصف و أُفرِج عنه في شهر أغسطس 1955م. (www.aletihad.ae/article)

الشخصيات الرئيسية في «الهجانة»: وهم (حسن) و(جاسر) و(سلطان) وهي شخصيات رئيسية، تدور حولها القصة، شكلت العقدة، وخلقت الحدث، وأظهرت شخصيات القرية. وصفهم الكاتب بأنهم عبيد سود لهم أرجل رفيعة، جاؤوا لفرض النظام في القرية بعد حدث لم يحدده الكاتب، ولكن أشار له ضمن ثلاث حوادث وقعت في القرية، وهي اقتلاع شجيرات فدان القطن من أرض البرنس، أو النقب في إصطبل الابعادية المجاورة، أو الحريق الذي اجتاح الساقيتين القبليتين في وقت واحد.

البدراوي: و هو شخصية رئيسية أيضا حددتها القصة بأنه خبيرٌ بكتابة العرائض والبلاغات وله كل يوم عريضة وكل صبح بلاغ يفند فيه ما صنع العساكر بالبلد ولكنه حين عرف أن الهجانة قد عرفت بأمره نفض يده من الكتابة واندفع يتقرب إليهم ويتلطف إليهم ويرجع بنسبه إلى دنقلة حيث جاءوا، ويتطوع بإبلاغهم سراً ما يحدث وراء ظهورهم وقد اطمئن إلى صداقتهم ولكنهم قابلوه ذات ليلة فجعلوه يعض الأرض. هذه الشخصية ممثلة لنوع من البشر موجود في كل مكان وزمان، فهو مدمر للجماعة يمكن أن يبيعها في أي وقت وبأي ثمن.

مرسي أبو إسماعيل: و هو كذلك شخصية رئيسية أيضا لم يكن يملك أرضاً، ومع ذلك كان يعيش في البلدة في حاله، وأدبه في معاملة الناس مضرب الأمثال، كان يعود المريض ويعزي في الميت ويساعد الضعيف وينتقم للمظلوم ويقف لكل صغير وكبير وكانت البلدة تفخر به إذا جاء مجال الفخر بين أبطال البلاد ويروون عنه كيف لوى سيخ الحديد وكسر المسمار ورفع كيس القطن وحده على الجمل. كان حامي القرية بحيث كان الناس يتركون محاريثهم ومواشيهم في الحقول دون خوف. ولم يسلم هذا الرجل من الهجانة فقد حاول مقاومتهم فما كان من الهجانة إلا أن ضربوه وأطلقوا عليه النار.

لقد كانت شخصية مرسي أبو إسماعيل مهمة في القصة وحوَّلَتْها من قصة واقعية فيها مقومات الواقعية إلى قصة رمزية، فشخصية البطل المرتبط بالجماعة استطاع أن يقود الجماعة إلى الثورة على الهجانة، فقد اختفى مرسي أبو إسماعيل من القرية بعد الإهانة التي وجهت إليه في القرية فلم يبق فيها سوى يوم واحد ويبدو أنه من هذا اليوم نظم خطة المقاومة ضد الهجانة، فالهجانة جاءت لتحمي الإبعادية وصاحبها والبرنس الذي اقتلعت شجراته من أرضه فأهانت كل الناس، ومضت أيام على خروج مرسي أبو إسماعيل من السجن وبينما الناس يفكرون ماذا يطبخون في ليلة النصف من شعبان فوجئ الناس في هذا النهار بالهجانة يجرون هالِعين وتعجب الناس فما كان الهجانة يرتدون بدلهم أو أحذيتهم الثقيلة وليس في أيديهم كرابيج وإنما حفاة عراة، وقد تكشفت عوراتهم السوداء و ظهر واضحاً أن هناك مقاومة وأن المقاومة نجحت، فقد كانت هناك خطة محكمة للنيل من الهجانة حيث تسلل مرسي أبو إسماعيل وحده إلى الغرفة التي ينام بها الهجانة في النهار وخرج حاملا بنادقهم.

ومن الشخصيات الثانوية: العاملون بالبندر: وهم من أهل القرية يسافرون للعمل بعيداً عن القرية، ويرجعون في قطار الساعة الثامنة مساءاً. منهم محمد أبو حسين: وهو صاحب المقهى، حامد الصعيدي: وهو صانع الطعمية بالقرية. عبد الفتاح الخفير: وهو الخفير المسؤول عن إحضار الطعام للهجانة من بيوت أعيان القرية. عبد الغنى: وصفه الكاتب بأنه شخص قصير القامة، صغير الرأس، ولكنه فكاهي ويحبه أهل القرية.

4-2- الأُمْنِية

ليوسف إدريس قصةٌ أخرى مزج فيها الفكاهة لتوصيف أوضاع أهل الريف آنذاك من خلال قصة «الأُمْنِية» من مجموعة «أرخص ليالي» إنه يحكي عن شخص باسم البرعي و هو فلاح بسيط يرى التليفون لأول مرة ويتمنّى أن يتحدث فيه، لكن التليفون في غرفة خاصة وعليه الحراسة و «أوضة» التليفون كانت خاليةً والخفير ذهب يفُطر، يخاف أن يراه أحد. والشيخ عبد المعطي عامل «التلافون» قاعد على الكرسي، فيدخل الغرفة ويجلس أمام التليفون الملصق في الجدار وينقر على الصندوق. وهو يتوقع أن يرد واحدٌ من داخله، ويقول: مين؟ وهو يرجع إلى أيام بلاهته وصغره حين كان يسميه «اللَّفْلُفُون»، ويعتقد أن داخله بني آدم صغير وضعَتْه الحكومة ليكلم الناس. ويتحسس البوقَ الذي يبرز من مقدمته كما تبرز شفاتيرُ (ج: شَفتورة: شَفَة غَلِيظة) حسن العبد، فيضع السماعة على أذنه، ويعجبه الثقبُ الذي في أسفلها، فيلمح فيها رائحةَ عرقِ الشيخ عبد المعطي التي يعرفُها هو وأهل بلدهم. ويسمع من الناحية الأخرى صوتًا عصبياً: «أيوه يا ميت غنيم.. فيه إيه؟ ردوا». ثم تبعد الأصوات كلها، وتختلط، ولا يربطها في رأسه إلا دوي وابور الحرث الذي بدأ يدُير رأسَه، ولا ينعشه إلا صوتٌ رفيع ممدود يقول بين الحين والحين: ألووه، يا أخينا ألووه. وتبين بعد عناءٍ كبير، وبعد أن تلاحقتْ أنفاسُه، وابتلع ريقه مرات أنَّ نقيقًا يقول من بعيدٍ جدا: يا مركز، فيرد عليه آخر له بحةٌ كحشرجة أم سليمان. ثم همس بها بينه وبين نفسه، وكأنها الفاتحة يقرؤها. وكما تقرع طبلة السحور، وجد أذنه يخرقها صوتٌ أجوف عالٍ تبين بعد وقت يتعجب ولا يجد ما يقوله سوى: «آلو.. آلو يامركز». فيجيئه الصوت: «أيوه يا ميت غنيم.. اتكلموا»، فيقول: «أيوه.. آلو يا مركز»! فيهتف الصوت بغضب: «يا محروقة يا ميت غنيم.. ردوا»، فيقول بفرح: «يلعن.. يلعن أبوك يا مركز»! ويرمي السماعة بقوة ويندفع خارجا هاربا كالريح. (يوسف أدريس، 2017، ص 68)(Youssef Idris, 2017, p. 68)

وصف الكاتب الشارع في قصة «الأُمنية» بأنه شارع ضيق، وفيه ديكان نافران.... ووصف أيضا نظرة ألقاها البرعي للتأكد من خلو الشارع من أي أحد كي لا يُكشف أمره في محاولة منه لتحقيق أمنيته في حمل «التلافون ». (مرتاض، عبدالمالك، 1990، ص119)(Murtad, Abdelmalek, 1990, p. 119) وهذا هو البرعي الذي يحلم بأن يتكلم في التليفون مثل العمدة، وعندما تحدث المعجزة وتتحقق أمنيته يقول لمن يرد عليه في الطرف الآخر: يلعن أبوك يا مركز ويرمي السماعة بقوة.

استخدم الكاتب أنواعاً من التشابيه الفكاهية المأخوذة من بيئة القرية كما نراها في «فيلمح فيها رائحةَ عرقِ الشيخ عبد المعطي التي يعرفُها هو وأهل بلدهم» أو « ولا يربطها في رأسه إلا دوي وابور الحرث الذي بدأ يدُير رأسَه» أو « له بحةٌ كحشرجة أم سليمان» و شبَّه همسته قائلا «وكأنها الفاتحة يقرؤها» و شبَّه وصول الصوت إلى أذنه بقرع الطبل في السحور « وكما تقرع طبلة السحور، وجد أذنه يخرقها صوتٌ أجوف عالٍ».

5-2- لغة الآي آي

وفي قصة (لغة الآي آي) التي نشرها عام 1964 يذهب قروي مصاب بسرطان المثانة إلى شقة صديقه القديم الطبيب (حمدي الحديدي) المتخصص في الكيمياء العضوية وبمجرد زيارته عرف أنه (فهمي) زميل الدراسة الثانوية، الذي اضطر لترك الدراسة والعمل في فلاحة الأرض لمساعدة والده.

كانت مياهُ الترعة ملوّثةً فلذلك أصيب بالبلهارسيا فقرّر الطبيب أنْ يستضيف صديقه فهمي لقضاء الليلة في شقته ويذهب به في الصباح لفحصه بالأشعة، ولكن الزوجة الأرستقراطية تقترح أنْ ينام الليلة في غرفة البواب، ولما اعترض زوجها، اقترحتْ أنْ يبيت في المطبخ. ظلّ الطبيب مستيقظـــــاً وهو يسمع الصرخات

المروّعة الآتية من المطبخ، ومع الصرخات بدأ يفكر بمقارنة بين حياته وحياة فهمي فعرف أنه هو الذي فشل وأنّ حياته المرفهة قامتْ على الأنانية ولم يهتم بأي شيء غير مستقبله العلمي، لدرجة ابتعاده عن أقاربه حيث لايراهم إلاّ في المناسبات بمبادرة منهم وذلك عكس فهمي الفلاح الذي يواصل علاقته الحميمة بأسرته وفي النهاية يقرر الطبيب لملمة حاجياته الشخصية ولما سألته زوجته: رايح فين؟ قال: رايح أشوف طريق تاني.

6-2- طبلية من السماء

و في قصة «طبلية من السماء» يحكي الكاتب قصة الشيخ عليّ الرجل الريفي الذي ضاقت به الحياة وتدهورتْ به الأحوالُ ورفض أن يطلب شيئا من أهل القرية لخجله الشديد وعزة نفسه مع أن أهل القرية جميعاً كانوا يحبونه بشدة ولكنه أراد أن يطلب من الله بطريقة قد يراها البعض خارجة عن النطاق العادي؟ إنه ببراعته الإبداعية الفائقة، حاول مزج مأساة شخصياته بالسخرية كما نجدها في سائر قصصه وفيها يردّد الفلاحون مأثوراتهم المتوارثة مثل: العجلة من الشيطان وأنّ يوم الجمعة فيه (ساعة نحس) وفي هذه الأجواء ومع الاستعداد لصلاة الجمعة، يخطر ببال الشيخ عليٍّ فكرةٌ لم يستطع مقاومتها، فإذا به يعلن أمام الناس أنه سيرتد عن الإسلام (ما لم يرسل اللهُ وليمةً عامرةً) فَعَلَ ذلك لأنه فقير مسكين، وللخروج من هذا المأزق، أحد الأغنياء (والذى كان عارفاً بظروف حياة الشيخ عليّ) يتطوّع بتقديم وليمة له و لفقراء الحي.

لدى قراءة هذا العنوان نجد تناصاً بين قصة «طبلية من السماء» وقصة النبي عيسى عليه السلام في سورة المائدة حيث يقول: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (المائدة 114). لقد استحضر الشيخ عليّ قصةَ المائدة فقرَّر أن يحذو حذوه شكلا ولكنه لم يكن يهدف بأن الله ينزل عليه المائدةَ فهو يدري أن زمن معجزة النبيين قد ولَّى فلذلك أراد أن يفهم أهل القرية المعنى المطلوب وربما كان ينظر أبعد من ذلك اعتراضاً على سوء حالته المعيشية التي يمر بها نفسه و كذلك غالبية أهل القرية.

7-2- في الليل

وفى قصة «في الليل» تتقابل جماعة من الفلاحين، أنهكهم العمل فى الحقول طوال اليوم. وبينما يدخنون الجوزة (نرجيلة)، ويسمعون ويستمتعون بنكت (فرفور القرية) الذي هو أفقرهم، يسري الهواء الرطب إلى أجسادهم المتعبة (فينعشها).

هذه القصة تعكس قضية فكرية في ذهن الكاتب، لأنه أراد انتقاد سلبيات الواقع من أجل تنبيه الناس لمشكلة تتفاقم وهي فقر المجتمع المصري، فقرٌ مُقنّع بالرضا وكأنما لا يلاحظه أحدٌ.

في هذه القصة يلتقط يوسف إدريس بكاميرا مشاعره الخاصة، لقطةً قد تبدو عادية جداً، "عوف"، القروي الفقير يبحث مساء ليلة عن ثمن كيلة الذرة التي يحتاجها بيته، الفلاح الخجول خفيف الدم الذي يعفّ عن السؤال، يكتفي بالجلوس مع باقي رجال القرية ليتسامر معهم، وهو المعروف بخفة ظله وحكاياته المسلية. عوف نفسه يشعر معهم فقط بأهميته، بعدما ظل طيلة اليوم يشعر بالعجز وقلة الحيلة أمام توفير أدنى متطلبات بيته، لكنه هنا وهو يقص الحكايات، ويطلق النكات، يشعر بقيمته في الحياة، يشعر بالانفصال قليلاً عن هموم العالم التي يحملها على كتفيه، هو أفقر رجل في القرية، لكنه الأهم في الوقت ذاته. ومَن حوله بالكاد يطعم كل واحد منهم بطون أطفاله، هم يحبونه لكنهم عاجزون عن المساعدة، وهو يحلم بالمساعدة عاجزاً عن الطلب. أليس هذا اختصاراً للحياة كاملة؟

ينفض الجميع همومهم في الليل، يعيشون بضع دقائق في عالم آخر يشعرهم بآدميتهم ولو لبعض حين، وحين تشرق الشمس، يعود الجميع إلى مشاكله، ويعود عوف ليبحث عن ثمن كيلة الذرة. بعبارة أخرى عوف الذي يُضْحِك القريةَ وناس القرية ولا تحلو الجلسة ولا السهراية إلا به، رغم أنه لا يملك ثمن كيلة غلة.

هذه القصة العادية تماماً، يسردها إدريس بأسلوبه الخاص فنتوحد مع كل طاقة الإنسانية المنبعثة منها، هذا هو الإنسان الذي لا يريد سوى بضع لحظات من السعادة بعيداً عن الفقر، السعادة التي تؤرقها المتاعب، لكنه يحاول بكل جهده الاستمتاع بها رغماً عن كل و أيّ شيء. (www.arageek.com/yusuf-idris-story)

8-2- ليلة صيف

وفى قصة «ليلة صيف» نتعرّف على مجموعة من الصبية، فى إحدى الليالى جلسوا فوق كومة من القش والتبن ويتحدث بعضهم البعض. أما الشاب الريفى (محمد) يتحدث لأصدقائه عن المدينة قائلا: فيها محطة سكة حديد، وفيها أفندية، وشيئـــــــاً كبيراً مثل الجنة، وفيها بنات كالحليب!

تحكي هذه القصة الفقر والحرمان الذي تعاني منه الطبقة المضطهدة في القرية. هؤلاء الشباب لم يروا قط فتاة بيضاء جميلة فكلما رأوه فتيات ذوات وجوه سوداء تحت أشعة الشمس. لذلك، من الطبيعي مقارنة فتيات المناطق الحضرية بالحليب. ويقارنون القرية بكل ما فيها من الخراب و الدمار والحرمان بالمدينة ويصفونها جنة الخلد. لم يسبق لهؤلاء الشباب رؤية السكك الحديدية والأثرياء، ولهذا السبب يشيرون إليهم على أنهم عجائب الدهر.

وفي رواية «الحرام» التي تحولت إلى فيلم سينمائي، تناول الكاتب طبقة مقهورة تشتغل بالأجرة يعني «عمال التراحيل» وهم فئة مهمشة من العمال الكادحين في المجتمع القروى المصري.

فكري أفندي هو ناظر التفتيش الزراعى في العزبة [العِزبة: هي مصطلح يُطلق على تجمع سكني محدود وسط الأراضي الزراعية أو على حوافها في مصر. ارتبط ظهور العزب في مصر باحتياج زراعة حدائق الفاكهة إلى إقامة قريبة منها للعناية بها وحراستها كمنشآت العزب في وسطها، ويقيم المالك بيته أو قصره الخاص بها. العزبة تختلف عن القرية من حيث حجمها وشكلها وعدد سكانها، فمن حيث الشكل فهي عادةً غير مخططة وحجمها صغير قد يصل إلى 4 إلى 6 بيوت في الماضي، والآن تحوي سكاناً أكثر مع تزايد النمو السكاني في مصر، فقد كانت في الماضي تحوي العزبة وزمامها على 50 إلى 500 نسمة، أما الآن فقد يزيد عدد سكانها عن 2000 نسمة. ارتبطت العزب بالأبعاديات منذ القرن التاسع عشر؛ لأن معظم الأراضي التي وهبها حكام هذه الفترة للكثيرين كانت بعيدة عن القرى والكفور، ومن ثم لجأ المُلّاك إلى إقامة مساكن بسيطة للعمال أطلقوا عليها "العِزب"، وعادةً يُطلق اسم مالكها عليها أو اسم العربان الذين استصلحوها]، كانت له علاقات غير شريفة مع كثيرات من النساء. كان فكري أفندي يحتقر الغرابوة (عمال التراحيل) ويعاملهم معاملة فظة سيئة مستغلا سلطته كقائد لفرق العمل. تحدث يوسف إدريس عن (الغرابوة) في الرواية عندما حدثت واقعة أم اللقيط، وقد شكَّ في أن تكون أم اللقيط هي واحدة منهم. والغرابوة هم عمال التراحيل الفقراء الغرباء عن العزبة وأهلها الذين يأتون من بلادهم للعمل في الموسم الزراعي بمنطقة العمل في التفتيش ليحصل كل منهم على بضعة قروش.

هذا الاسم «الغرابوة» يطلقه أهل العزبة (أهل التفتيش) على هؤلاء البؤساء، فأهل التفتيش يملكون النقود والأرض والبهائم ويرتدون الملابس النظيفة لذا فهم يحتقرون الغرابوة وينظرون إليهم وكأنهم مجرد نفايات.

يبدأ الحدث السردي، من لحظة متوترة دراميا فثمة رضيع لا عائل له، يكون مفجرا للحدث الدرامي داخل الرواية، ويصبح الخطاب المهيمن على حوارات الشخوص شاكا ومتسائلا، فمسيحة أفندي يرمي زوجته وابنته بالباطل، وتنتفي المسافة بين «الغرابوة» و«أهل العزبة» (فلاحو التفتيش)، بعد أن كان عمال التراحيل (الغرابوة) وحدهم في قفص الاتهام. (www.albawabhnews.com/4405941)

9-2- الحرام

تبدأ رواية «الحرام» بوجود اللّقيط المخنوق عند التّرعة، وقد وُجِّهت كلّ الاتّهامات نحو الغرابوة، فهم كانوا يعيشون في فقرٍ وجهل، ثمّ تصاعدت أحداث الرّواية عند ذكر قصّة عزيزة حيث أُصيب زوجُها بالمرض واضطرّت للعمل. بعد ذلك، سقطت مع محمد بن قمرين وحملت بالجنين، ثمّ وصلت أحداث الرّواية إلى ذروة التّأزم عندما قَتَلَتْ عزيزةُ ابنَها بعد ولادته خوفًا من الفضيحة، وخُتِمت الرّواية ببوادر انتهاء الطّبقية بين العزبة والغرابوة وكلّ ما تبقى من عزيزة كانت شجرة ترمز إلى الخزعبلات الّتي آمَنَ فيها النّاس وأدت إلى نسيانهم قصتها. لأنه امتلك الأثرياء معظمَ الأراضي الزّراعية، والغرابوة كانوا «يبحثون عن لقمة عيش».

استخدم يوسف إدريس صورةً فنّيّةً حين وَصَفَ العزبةُ أهلَ التّرحيلةِ «بـــنفاية بشريّة جائعة» ليرى القارئ أن بوجهة نظر العزبة لا تعدّ للتّرحيلة أي قيمة كبشر. (www.addustour.com/articles)

واحدة من هذه القضايا كانت عدم وجود الثّقة بين أفراد العائلة، وظهرت أيضًا قضية الازدواجية في السّلوك، خصوصًا عند منزل أمّ إبراهيم. نرى في الرّواية أنّها زوجة الإمام، فيفترض أنّها تتبع الشّريعة الإسلاميّة وتبتعد عن المعاصي. ولكن في الرّواية ظهر عكس ذلك تمامًا، فهي كانت تجعل منزلها موقع للقاء العشّاق، وكان لها علاقة غير شرعيّة مع أحمد سلطان.

أما من ناحية ظلم المرأة، فكان منزل فكري أفندي يمثّل هذه القضيّة بدقّة، فكان فكري يمنع زوجته من الخروج منه واستقبال الضّيوف. يوضّح لنا يوسف إدريس معظم القضايا الّتي كانت منتشرة في المجتمع المصريّ. إحدى هذه القضايا كانت ظلم المرأة، فكان فكري أفندي «مستعد أن يصدق الحرام في الرّجال، ولكنّه – لأمر ما – يصعب عليه أن يصدّق الحرام في النّساء» الرؤية السّرديّة في هذه الحالة عكست للقارئ الاعوجاج في تفكير المأمور)

بالإضافة إلى اللّغة العاميّة، استخدم يوسف إدريس الرّمزية لكي يترك للقارئ مساحة لتفسير أحداث الرّواية حسب رؤيته. أولُ مثالٍ على ذلك هو طربوش فكري أفندي. في بداية الرّواية، كان طربوشه أعوج، وذلك دلّ على اعوجاج تفكيره، خاصّة عن دور النّساء في الحرام. ولكن في نهاية الرّواية، بعد حلمه عن عزيزة واكتشافه لقصّتها، عدّل طربوشه وذلك دلّ على إصلاح سلوكه واعتقاداته.

مثال آخر للرّمزية كان وشم البنت على ذراع عبد المطلب الهزيل. ظهرت هذه الرّمزيّة في بداية الرّواية، ولكن يستطيع القارئ فهمها بعد إنهاء الرواية. وجود الفتاة على ذراع هزيل دلّ على فشل المجتمع المصريّ في حماية المرأة.

الرواية تدين النظام الاجتماعي في مصر حيث لا حقوق أو ضمانات تؤدي للفلاح الأجير عامل الترحيلة بينما هو في حقيقته عماد هذا المجتمع.

الروايةُ وصفٌ واقعي دقيق لشريحة من المجتمع المصري وهي الترحيلة في علاقتها بأهل التفتيش، وقد أذابت المأساة الفوارق بين الفريقين، فنساءهما معا أصبحن محل شك وريبة. وفي الرواية تحليل للنوازع البشرية في الشك. كما تتمثل في مسيحة أفندي وشكه في زوجته وابنته، وكما نلاحظ التطفل وحب الاستطلاع والبحث

عن الإشباع الجنسي وسيطرته على القلوب الفظة الغليظة عند ابن القمرين وفكرى أفندى. (https://ar.wikipedia.org)

10-2- المأتم

وفى قصة (المأتم) وصف إدريس المشهد الساخر بين (حانوتيّ باسم أبو المتولي) وشيخ قروي باسم الشيخ محمد حول (ثمن صلاة الميت) التى يؤديها على أرواح الموتى.

يصف الكاتب مشهداً ساخرا حيث يضع أبو المتولي على منصة المسجد جثة هامدة وكان في اللِّفافة رضيعٌ ميّت ويبحث عن شيخ المسجد ليصلي على جثته. ثم يقف على باب الجامع، فينادى بصوته الأخنف الهادئ: يا شيخ محمد صَلِّي الميت. ويرفع صوته أكثر، حتى يحمرَّ وجهُه، ثم يترك الجثة كما هي ليصلي عليه الشيخُ صلاة الميت مقابل دفع المبلغ ويخرج من المسجد بعد أن يحس بعطش فهو يشرب عصير الفواكهة في الشارع ويترك الجثة. ثم يشاهد الشجارات الصغيرة بين البائعين والمشترين في الشارع المحيط بالمسجد وأمامه. فيرجع إلى الباب ليجدَ أن الشيخ محمد قد انتهى من الركعتين. يطلب منه الشيخ محمد 8 قروش أجرة لأداء صلاة الميت، وهو لايوافق الا على 7 قروش. ثم يخاطبه الشيخ ويقول الآن سعر الباميا و طماطم بمبلغ كذا وسعر التمر هكذا وهو يقارن أسعار الفواكه والخضار في السوق بسعر صلاة الميت.

أبو المتولي يسأل الشيخ هل توضأت فعلا عندما صلَّيتَ صلاةَ الميت؟ وبعد لحظة يسأله مرة أخرى يا شيخ عندما صلَّيت على الميت، هل كان الميت متجها للقبلة؟

كل هذه المشاهد هي نوع من السخرية يتبادل بين الشيخ القروي و حانوتي بلا ثقافة علمية.

3- نتائج البحث

1. بما أن يوسف إدريس كان طبيبا بارعاً فهو نظر الى الريف نظرة علاجية فنجح في نقل فن القصة القصيرة من المحلية إلى العالمية، وجعل لها هويتها المصرية الخاصة، إذ قدمها بلغة الإنسان العادي ونقلها من برجها العاجى إلى لغة التخاطب اليومي، عبّر تصويرا واقعيا، وبسيط للحياة كما هي في الطبقات الدنيا من المجتمع ومنها «أرخص الليالى»، «حادثة شرف»، «قاع المدينة» معبرا من خلالها عن المظلومة في المجتمع وهي تمثيل للإنسان المصري الذي يعيش على هامش الحياة.
2. يوسف إدريس يضغط على المشكلات الأساسية في حياة الفلاح – والمواطن المصرى البسيط – مثل العلاقة بين المدينة والقرية، والحاجة إلى الطعام، والحاجة إلى تحقيق رغبات المرء الجنسية والوجدانية، والكراهية للسلطة، والخوف من الموت، ولذلك ثالوثُ الفقر والجهل والمرَض، هَمٌّ متكررٌ صارخٌ في قصصه.
3. عاش يوسف إدريس طفولته وصباه بين ربوع الريف ، وتشكلت شخصيته، واختزن في أعماقه عشرات الأحداث والوقائع والشخصيات كذكريات، حتى أصبح الريف جـــزءا مــن نظرته للحياة والكون من حوله، فإذا ما انفتح أمامه عالم الإبـــداع ذلك، فسرعان ما يحتل الريف ركنا جوهريا منه، فهو حين يكتب عنه، يكتب عن عالم داخلي حميم، أحبه وعايشه، بما يكفل توافر عنصري الصدق والتلقائية في كتاباته.
4. أبدع الكاتب في تسليط الضّوء على وجود الطّبقية في المجتمع من خلال تعمقه في التّفاصيل عند كتابة القصص.
5. موضوعات قصصه تدور حول قضايا ومشاكل المجتمع المصري المعاصر في الريف، أو في المدينة ومن خلال اختلاطه بالمرضى ومن خلال عمله في عدة مستشفيات، يعرف مشاكل الجسد ومشاكل الحياة وتعقيداتها. هذه الأشياء كانت منطلقا لعدة موضوعات في قصصه.

6. كثيرون هم الذين يكتبون الأدب، قليلون هم الذين يجيدون تصوير المشاهد التي يكتبونها، بطريقة تجعلك ترى وأنت تقرأ وكان يوسف إدريس واحدا من الصنف الثاني البارع في رسم المشهد وجذب القارئ ليكون واحدا من شخوصه.

7. إن يوسف إدريس كان أديبا مستشرفا للمستقبل من خلال الاعتماد على الحاضر والعودة إلى الماضي كمرجعية تاريخية، لذا ناقش قضية الطبقات فى المجتمع المصرية، وكان بطبيعة الحال منحازا لطبقة المهمشين والضعفاء كي يرتقي بهم، ربما كان ذلك سبب بقاء كتابات يوسف إدريس حية.

8. إنه ليس أول من كتب عن القرية، ولكن قيمته الحقيقية هي أنه عندما كتب عن القرية قلب تربتها، وعرف باطنها قبل ظاهرها. إنه استحضرها وحفظها حية إلى الأبد تحت عدسة الفن السحرية، المتعددة الألوان.

9. لغة يوسف إدريس واقعيّة تسجيليّة بعيدة عن الغموض والتّعقيد. إنه قد وظّف العاميّة عند محاورة الشّخصيات لكي يقرّب روايته إلى الواقع ويشيرُ إلى الطّبقيّة في مجتمعه.

10. عاش يوسف إدريس طفولته مع جدته بالقاهرة، ما جعل مرتبطا بأجواء الريف والتي انعكست بشكل كبير على كتاباته فيما بعد.

11. سجَّل يوسف إدريس معاناة الفلاحين وأوجاعهم والظلم الشديد على أهل القرى. إنه وصف الرّيف المصريّ بشكله الحقيقي بعيدا عن النظرة الرومانسية التي صورتها جنة زاهية، ليبرز لنا من خلال تتبع الأحداث مدى الظلم الذي وقع عليهم عندما يواجه فساد المسئولين.

المصادر

- أحمد طاهر حسنىن و آخرون، 1988، جماليات المكان، عيون المقالات باندونغ، ط2، الدار البيضاء دار قرطبة: الجزائر.
- الارناؤوطي، زهير محمد علي.2016م. لفظة (الرحمن) في سورة مريم "دراسة دلالية"، مجلد 61، عدد 1، مجلة الاستاذ، العراق.
- بن ضياف، محسن ، 1985، دراسة يوسف إدريس كاتب القصة القصيرة، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع: تونس.
- حسوني، جعفر ظفير؛ صبر، عادل ماضي. (آذار 2022)، الخطاب الديني في ضوء الاستعمال اللغوي، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية و الاجتماعية. مج. 61، ع. 2 ، العراق.
- دحماني، الحسين، أطروحة الماجستير (البنىة السردىة للقصة القصىرة عند ىوسف إدرىس أرخص لىالي أنموذجا) جامعة محمد بوضياف، الطالب الحسين دحماني، السنة الجامعىة : 2016-2017: الجمهورية الجزائرية.
- رجي أوليا صافيا، أطروحة الماجستير (الصراع الاجتماعي في مجموعة القصة القصيرة أرخص ليالي ليوسف إدريس: دراسة علم اللغة الاجتماعية بنظرية لويس الفريد كوسر) جامعة مولانا مالك ابراهيم الإسلامية الحكومية مالانج، المشرف عبدالرحمن السنة الجامعىة: 2020م.
- عباس، ياسمين ذيبان. 2023م . مفهوم الصبر في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)، مجلد 62، عدد 1، مجلة الاستاذ للعلوم الانسانية والاجتماعية، العراق.
- عباس، نورا حسين علي .2022 م. القيم الحضارية في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، مجلد 61، عدد 2، مجلة الاستاذ للعلوم الانسانية والاجتماعية، العراق.

- على شلبى، 1983، الريف المصري في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ،1891– 1847، دار المعارف: القاهرة.
- فاروق عبدالمعطي، 1994. يوسف إدريس بين القصيرة والإبداع الأدبي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية: بيروت.
- محمود معروف عبدالنظير معروف، 2023 (أزمة وعي الشخصية في قصص يوسف إدريس القصيرة قصة النداهة نموذجاً) كلية الآداب جامعة حلوان، قسم اللغة العربية، مجلة الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة.
- مرتاض، عبدالمالک، 1990، القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب: الجزائر.
- نوال السيد محمد، زين الدين. لاتا. روايات يوسف إدريس. دار قباء.
- هوانغ هاو في، 2020 (صورة المجتمع في روايات يوسف إدريس) مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، العدد الخامس والثلاثون، جامعة قناة السويس، المجلد 3، العدد 35، الجزء الثانى: مصر.
- الورقي، السعيد. 1990. مفهوم الواقعية في القصة القصيرة عند يوسف إدريس. ط 1، دار المعرفة الجامعية: الاسكندرية.
- يوسف إدريس، 2017م. أرخص ليالي، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة.
- يوسف إدريس، 1959، الحرام، سلسلة "الكتاب الفضي"، دار الهلال: القاهرة.
- يوسف إدريس، 1965، لغة الآي آي، سلسلة «الكتاب الذهبي»، روز اليوسف: القاهرة.

References

- Ahmed Taher Hasanein et al., 1988. The Aesthetics of Place, 2nd ed., Ain Al-Maqalat, Bandung, Dar Al-Qurtuba: Casablanca, Algeria.
- Al-Arnaouti, Zuhair Muhammad Ali. 2016 AD. The word (Al-Rahman) in Surah Maryam “A Semantic Study”, Volume 61, Issue 1, AlUstath Magazine, Iraq.
- Ben Diyaf, Mohsen, 1985. Study of Yusuf Idris as a Short Story Writer, Dar Bou Salama for Printing, Publishing, and Distribution: Tunisia.
- Hassouni, Jaafar Dhafir; Sabr, Adel Madi. (March 2022), Religious Discourse in Light of Linguistic Usage, AlUstath Journal for Humanities and Social Sciences. Vol. 61, No. 2, Iraq.
- Dahmani, Al-Hussein. Master’s Thesis: The Narrative Structure in Yusuf Idris's Short Stories, "Cheapest Nights" as a Model, University of Mohamed Boudiaf, Al-Hussein Dahmani, Academic Year: 2016-2017: The People's Democratic Republic of Algeria.
- Raji Ulya Safia. Master’s Thesis: Social Conflict in Yusuf Idris's Short Story Collection "Cheapest Nights": A Sociolinguistic Study Based on Lewis Alfred Coser's Theory, Maulana Malik Ibrahim Islamic State University, Malang, Supervisor: Abdul Rahman, Academic Year: 2020.
- Abbas, Yasmine Dhiban. 2023 AD. The Concept of Patience in the Holy Quran (An Objective Study), Volume 62, Issue 1, AlUstath Journal for Humanities and Social Sciences, Iraq.
- Abbas, Noura Hussein Ali. 2022 AD. Civilizational Values in the Hadiths of the Ahl al-Bayt (peace be upon them), Volume 61, Issue 2, AlUstath Journal for Humanities and Social Sciences, Iraq.

- Ali Shalaby, 1983. The Egyptian Countryside in the Second Half of the Nineteenth Century (1847-1891), Dar Al-Maaref: Cairo.
- Farouk Abdul Muti, 1994. Yusuf Idris Between Short Stories and Literary Creativity, 1st ed., Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya: Beirut.
- Mahmoud Ma'ruf Abdulnadhir Ma'ruf, 2023. (The Crisis of Character Awareness in Yusuf Idris's Short Stories: "The Siren" as a Model), Faculty of Arts, Helwan University, Department of Arabic Language, Journal of the Egyptian Society for Reading and Knowledge.
- Mortadh, Abdelmalek, 1990. Contemporary Algerian Short Story, National Book Foundation: Algeria.
- Nawal Al-Sayyid Muhammad, Zein Al-Din. Yusuf Idris’s Novels, Dar Qibaa.
- Huang Haofi, 2020. The Image of Society in Yusuf Idris’s Novels, Journal of the Faculty of Arts and Humanities, Issue 35, Volume 3, Part 2, Suez Canal University: Egypt.
- Al-Warraqi, Saeed, 1990. The Concept of Realism in Yusuf Idris's Short Stories, 1st ed., Dar Al-Maarifa Al-Jami'iya: Alexandria.
- Yusuf Idris, 2017. Cheapest Nights, Hindawi Foundation CIC, United Kingdom.
- Yusuf Idris, 1959. The Forbidden, Silver Book Series, Dar Al-Hilal: Cairo.
- Yusuf Idris, 1965. The Language of the Ai-Ai, Golden Book Series, Rose Al-Yusuf: Cairo.